٤

« ما ودعك ربك وما قلى »

﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾

[سورة الإسراء]

﴿ وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾
مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ ﴾

[سورة الضحى]

﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾

[سورة الشرح]

«نفـر من قريـش مجتمعون بظاهـر الكعبة.. يتشـاورون فـى انتشار أمر محمد، وفيما فشل فيه أبو الوليد عتبة بن ربيعة حتى قالوا له: «سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه».. فى المجتمعين عتبة وشـيبة ابنا ربيعـة، وأبو سـفيان، والنضـر بن الحـارث بن كلـدة، وأبو البخترى بن هشـام، والأسـود بـن عبد المطلـب، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل عمرو بن هشـام، وعبـد الله بن أبى أمية، والعاص بن وائل، وأمية بن خلف.. يعلو بينهم الصخب والنقاش،.. يستقر رأيهم على أن يعـاودوا المحاولة مع محمد، لعلهم يصلون معه إلى حـل يرضيهـم.. يبعثون إليـه مـن ينبئه أن أشـراف قومك قد اجتمعوا إليك ليكلموك..».

بعضهم: (إلى محمد وقـد اجتمع بهذا الرهط من قريش)

يـا محمد، إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلا مـن العرب أدخـل على قومه مثل ما أدخلت على قومك.. لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وشتمت الآلهة، وسـفهت الأحلام، وفرقت الجماعة.. فما بقى أمر قبيح إلا قـد جئته فيما بيننا وبينـك.. وقد عرفت مما عرضه عليـك أبو الوليد عتبة بن ربيعة ما قد عرفت.. ونحن لا نزال نعرضه عليك.. نعرض عليك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تطلب الشرف سودناك علينا، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه بذلنا من أموالنا فى طلب الطب حتى

نبرئك منه أو نعذر فيك.. فما تقول يا ابن أخ؟!

محمد : (فى هدوء وسكينة) ما بى ما قاله أبو الوليد وما تقولون.. ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثنى إليكم رسولا، وأنزل على كتابًا، وأمرنى أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا، فبلغتكم رسالات ربى، ونصحت لكم. فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة، وإن تردوه علىّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم!!

بعضهم : (يريد إعناته) يا محمد، فإن كنت غير قابل منا شيئًا مما عرضناه عليك فإنه قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلدًا، ولا أقل ماء، ولا أشد عيشًا منا.. فسل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به، فليسير عنا هذه الجبال التى ضيقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهارًا كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم «قصى» ابن كلاب.. فإنه كان شيخ صدق. فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل.. فإن صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك، وعرفنا به منزلتك من الله، وأنه بعثك رسولاً كما تقول!!!

محمد : (فى اطمئنان وهدوء) ما بهذا بُعثت إليكم، إنما جئتكم من الله بما بعثنى به، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم فى الدنيا والآخرة، وإن تردوه علىّ أصبر لأمر الله تعالى حتى يحكم بينى وبينكم!!

بعضهم : (راغبين إعناته) فإذا لم تفعل هذا فخذ لنفسك: سل ربك أن يبعث معك ملكًا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك، وسله

فليجعل لك جنانًا وقصورًا وكنوزًا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى، فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم، وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم؟!!

محمد : (فى هدوء وثقة وطمأنينة) ما أنا بفاعل، وما أنا الذى يسأل ربه هذا، وما بعثت إليكم بهذا.. ولكن الله بعثنى بشيرًا ونذيرًا.. وإن تردوا علىّ ما جئتكم به أصبر لأمر الله حتى يحكم بينى وبينكم..

بعضهم : (والجِين فى العناد) فأسقط السماء علينا كسفًا كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإنا لا نؤمن لك إلاّ أن تفعل!!

محمد : (فى ثقة واطمئنان) ذلك إلى الله، إن شاء أن يفعله لكم فعل!!

بعضهم : (ساخرين) يا محمد، أفما علم ربك، أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه، ونطلب منك ما نطلب، فيتقدم إليك فيعلمك ما تراجعنا به، ويخبرك ما هو صانع فى ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به؟!!! (ساخرين معرضين غامزين).. إنه قد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن.. وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدًا!!.. (يستأنفون مهددين متوعدين) وقد أعذرنا إليك يا محمد، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا!!!

أحدهم : (منبريًا) نحن نعبد الملائكة وهن بنات الله!!!

آخر : (متداخلاً) ولن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا !!!

«يغالب محمد غضبه من سفههم وما يقولون..
وينهض لينصرف عنهم، فينهض معه عبد الله
ابن أبي أمية بن المغيرة المخزومي.. وهو ابن
عاتكة عمة محمد..».

عبد الله بن أبى أمية: (كالناصح) يا محمد، عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أمورًا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل، فو الله لا أومن بك أبدًا حتى تتخذ إلى السماء سلمًا ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها.. ثم تأتى معك بأربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول!.. وأيم الله لو فعلت ذلك ما ظننت أنى أصدقك!!

«ينصرف عبد الله بن أبى أمية لحاله.. ويؤوب محمد إلى داره حزينًا أسفًا.. بينما رؤوس الكفر لا يزالون فى اجتماعهم يتغامزون!!!

* * *

«محمد عليه السلام فى خلوته يتعبد ويتهجد..
يتنزل عليه الروح الأمين بآيات رب العالمين»..

جبريل: (يتلو على محمد) ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾

أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾[سورة الإسراء: الآيات: ٩٠ - ٩٣].

(يرتفع الوحى)

* * *

«كبراء كفار قريش، فى مجلسهم بظاهر الكعبة.. يأتيهم من يروى لهم ساخرًا ما تنزل من القرآن، إلى قول الله سبحانه: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [سورة الإسراء: الآيات: ٩٣].. فينبرى بعضهم ساخرًا..

بعضهم : (ساخرًا) فمن يضمن لنا أنه رسول الله؟!!!

«يتضاحك الجمع ساخرين مستهزئين»!!

* * *

«محمد فى خلوته وتعبده.. يتنزل عليه جبريل، فيوحى إليه من كلمات ربه»..

جبريل : (يتلو) ..﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ

مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ ﴾..[سورة الإسراء: الآيات: ٩٤ - ٩٦].

(يرتفع الوحى)

* * *

«مكـــة.. محمد بداره وقد مضت فترة من آخر مرة تنـــزل فيها الوحى على محمد.. مضت فترة أبطأ فيها الوحى، حتى قلق محمد عليه الســـلام وأهمـــه الأمر.. وبـــات يتحدث بقلقـــه من إبطاء الوحى عليه إلى أهل بيته..».

خديجة : (لمحمد مواســـية) ربما كان إبطاء جبريل لما يراه من شدة جزعـك وقلقـــك..

«لا يبدو على محمد أن شيئًا يخفف ما به أو يسرى عنه من إبطاء الوحى عليه»

* * *

«رهـــط من طواغيت قريش يتســـامرون بجوار الكعبـــة وقد بدأوا يستشـــعرون من قلق محمد ما رابهم.. فأخذوا يتحدثون فى الأمر مستهزئين»!!

قرشى : (ساخرًا) إن محمدًا ودعه ربه وقلاه.. ولو كان أمره من الله لتابع عليه كما كان يفعل بمن كان قبله من الأنبياء؟!

قرشى ثان : صدقت.. قد ودع محمدًا!!

«يضحكون مســـتهزئين.. بينمـــا محمد مقبل

قاصـدًا الكعبة.. تصادفه (العـوراء بنت حرب) أخت أبى سفيان.. أم جميل.. زوجة أبى لهب، فتعترض طريق محمد ساخرة مستهزئة!!

أم جميل : (لمحمد ســاخرة) يا محمد، إنى لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك.. لم أره قربك من ليال!

أم جميل : (مســتأنفة فى ســخرية) مــا أرى صاحبــك إلاّ قد ودعك وقلاك!!

«يتضاحــك القرشــيون.. ولكــن محمـدًا لا يلتفــت إليهم، ويمضــى فى طريقــه إلى الكعبة لا ينظــر إلى الأصنام.. ينكب علــى الكعبة وقد شــق الأمر عليه مشقة بالغة.. يضع جبهته على الكعبة، ويمضــى فى دعاء خافت إلى ربه.. بعد لحظــات، إذا بمن يهــز كتفــه، وإذا بالروح الأمــين يتنزل بكلمات ربــه.. لا يحس بجبريل ولا يــراه ولا يســمعه إلاّ محمــد.. ولكنه يبتدر جبريل قائلاً..».

محمد : (لجبريل) ما جئت حتى اشتقت إليك!!

جبريل : (لمحمد) وأنا كنت أشد شوقًا إليك، ولكنى عبد مأمور.. وما نتنزل إلاّ بأمر ربك..

جبريل : (يتلــو علــى محمــد).. ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا

﴿ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [سورة الضحى: الآيات: ١ - ١١].

(يرتفع الوحى)

* * *

«نفر من قريش وسراتها يتسامرون بظاهر الكعبة.. يذكرون محمدًا ومن اتبعه ساخرين»!!!

قرشى : (مستهزئًا) أليس غريبًا أن يتنزل الوحى على محمد، وهو على ما تعلمون من فقر ومسغبة، ويترك سادة قريش وأغنياءها؟!!

آخر : لم يتبعه إلا أراذل القوم وفقراؤهم؟

ثالث : واللات والعزى ما يقصد بهذا إلا أن يداوى فقره، وأن يطلب الغنى..

أحدهم : (متسائلاً) ولكن أبا الوليد عتبة بن ربيعة قد عرض عليه أن يترك هذا الأمر على أن تجمع له قريش من أموالها حتى يصير أغناها فأبى؟!!

آخر : واللات والعزى ما يداوى بأمره إلا فقره، ولا أرى أحدًا اتبعه إلا أراذل الناس والعبيد والفقراء..

«قريش بمجلسها بظاهر الكعبة.. يمر بهم محمد، فيتصايح بعضهم متباهين بغناهم، معايرين إياه والمسلمين بفقرهم.. محمد يؤوب إلى داره حزينًا مهمومًا.. وإذ هو فى خلوته يتعبد ويتحنث، يتنزل عليه الروح الأمين، يسرى عنه بكلمات رب العالمين»..

جبريل : (يتلـو على محمـد).. ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾﴾[سورة الشرح: الآيات ١ – ٨].

(يرتفع الوحى)

* * *

«محمد يخـرج إلى المسـلمين، بادى البشـر والغبطة والسرور.. فينظرون إليه متسائلين»..

محمد : (للمسلمين) أبشروا أتاكم اليسر، فلن يغلب عسـر يسرين.. لن يغلب عسر يسرين..

أحد المسلمين : كيف يا رسول الله؟!!

محمد : (يتلو ما تنزل عليه من سـورة الشـرح) ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾.. ولن يغلب عسر يسرين..

« ينظـر عليه السـلام إلى جحـر على مرمى البصر.. مسـتأنفًا وهو يشير إلى الجحر.. والذى نفسى بيده، لو كان العسر فى جحر لطلبه اليسر حتى يدخـل عليه فيخرجـه إنه لـن يغلب عسر يسرين.. فإن الله يقول:

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾..

«يكبر المسـلمون فرحين مستبشرين بما تنزل من الذكر وبما أخبرهم به محمد عليه السلام..»..

* * *

«محمـــد فى خلوتـــه يتعبد ويتهجـــد.. يأتيه جبريل.. فيتذاكر وإياه ما أنزله الله تعالى من سورة الشرح.. وما جاء فيها من قوله سبحانه: (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)».

جبريل : (لمحمـــد) إن ربـــى وربك يقـــول: «أتدرى كيف رفعت لك ذكرك»؟!!

محمد : الله تعالى أعلم..

جبريل : (موضحًا) يقول الله تعالى: «إذا ذُكرت ذُكرت معى»..

«يرتفع الوحى، والبشـــر يملأ وجه النبى نورًا بما سمعه من جبريل من إكرام ربه».

* * *

«بعد زمن.. محمد فى بعض أصحابه»..

محمد : (محادثًا أصحابه) قد سألت ربى مسألة وددت أنى لم أسأله!

بعض الصحابة : كيف يا رسول الله؟!

محمد : قلت: قد كان قبلى أنبياء منهم من ســـخرت له الريح، ومنهم مـــن يحيى الموتـــى!! فقال ربـــى: «يا محمـــد، ألم أجدك يتيمًا فآويتك»؟.. قلت بلـــى يارب.. قال: «ألم أجدك ضالاً فهديتـــك»؟.. قلت: بلى يا رب.. قـــال: «ألم أجدك عائلًا فأغنيتك؟».. قلت بلى يا رب.. قال: «ألم أشرح لك صدرك، ألم أرفـــع لك ذكرك؟» قلت: بلى يا رب.. (يســـتأنف عليه الســـلام بعد برهة) فلما فرغت مما أمرنى به ســـبحانه وتعالى من أمر الســـموات والأرض قلت: يـــا رب، إنه لم يكن نبى قبلى إلا وقد كرمته.. جعلت إبراهيم خليلا، وموسى كليماً،

وسخرت لداود الجبال، ولسليمان الريح والشياطين، وأحييت لعيسى الموتى.. فما جعلت لى؟ قال تعالى:

«أو ليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله، لأنى لا أُذْكر إلا ذُكرت معى، وجعلت صدور أمتك أناجيل يقرأون القرآن ظاهرًا ولم أعطها أمة، وأعطيتك كنزًا من كنوز عرشى: «لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم»..

«المسلمون يرددون: لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.. ويردد آخرون: «وأما بنعمة ربك فحدث»..

* * *

«مكة.. بعد فترة وجيزة من نزول سورة الشرح.. المسلمون الأول يتذرعون بالصبر، ويحتملون ما يلقونه من كفار قريش وطواغيتها.. بينما لا يردع هؤلاء عن غيهم وجبروتهم رادع.. ولا تقرع آيات الله المتتالية لهم سمعًا.. يتزعمهم، فيمن يتزعمهم إلى جوار أبى سفيان، وأبى جهل - جماعة من المشركين: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى، والأسود بن عبد يغوث.. لا يفترون عن إعنات المسلمين، ويقول ملؤهم وعلى رأسهم أبو جهل مستهزئين: (إن محمدًا لفى خسر).. يتنزل الوحى على محمد، يقسم له بالدهر وصنوفه.. غرائبه وعجائبه.. عبره وعظاته.. أن الخسران

خســران الكفار والفجار، وأن السعـادة للمؤمنين والأبرار.. يعملون الصالحات، ويتواصون بالحــق والصبر..».

«محمد فى خلوته وتحنثه، يتنزل عليه الروح الأمين، ويلقى إليه من كلمات ربه..».

جبريل : (يتلو علــى محمــد) ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾[سورة العصر: الآيات: ١ - ٣].

(يرتفع الوحى)

* * *

«محمد فى صحابته.. يستمعون منه إلى آيات سورة العصر فرحين مستبشــرين.. يعيد بعضهم تلاوتها وراء النبى..».

صحابى : (لآخر) فليعلمن اليوم أبو جهل أنه الذى فى خسران.. لقد أقسم الله تعالى بأن الإنسان لفى خسر !!!

صحابى ثان : (مستدركًا) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر..

«يــردد الصحابــة مــا أوصت بــه آيات الله المؤمنــين من عباده.. فما يكاد أحـدهم ينصرف، أو يــترك صاحبًا من أصحابــه، حتى يتلو عليه ســورة العصر.. إذا التقــى الرجلان لم يفترقا إلاّ وقد قرأ أحدهما على الآخر السورة إلى آخرها..».

بعض الصحابة : (لبعضهم البعض، وهم ينصرفون ـ يتلو كل منهم لصاحبه).. ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾..

«ينفض الجمع، وكل منهم يردد آيات ربه.. يتواصون بما أوصاهم الله به».

* * *